

## مقال لنائب وزير الخارجية الروسي،

### فيكتور بوسوفاليوك، يتناول فيه

### اتفاق إعادة الانتشار في الخليل.\*

بصراحة أقول إن اتفاقية الخليل التي طال انتظارها لا تثير في نفسي شعوراً بالبهجة وإحساساً بالعيد، بل الأرحح أنها تحملني على تأمل ما جرى.

لا يختلف اثنان في أن الاتفاق كان ثمرة عمل هائل وجهد شخصي من ياسر عرفات وبنيامين نتنياهو ومحمود عباس وغيرهم، وهو (الاتفاق) يمثل تقدماً ملموساً على واحد من أهم محاور المفاوضات الشرق أوسطية. ووجه وزير الخارجية يفغيني بريماكوف رسائل إلى عرفات ونتنياهو وعبد الكريم الكباريتي وعمرو موسى، أشاد فيها باتفاقية الخليل التي قوبلت في روسيا بالتأييد عموماً.

ولكن حينما تستبد النشوة بالبعض فيصف الاتفاقية بأنها "اختراق" أشعر شخصياً بالحذر مع مثل هذا التقييم. فالأرجح أن الاتفاق تقدم، وإذا كان اختراقاً فإن فحواه تكمن في أنه تسنى لأول مرة منذ تولي حكومة نتنياهو السلطة التوصل إلى اتفاق رصين للغاية. وبدون أدنى تردد يمكن أن نضيف إلى ذلك حقيقة إيجابية أخرى تتمثل في إنجاز أول "تماس" سيكولوجي بين عرفات ونتنياهو وهما الشخصيتان الرئيسيتان على هذا المحور، وتم بلوغ درجة، ولتكن أولية، من التفاهم واستعداد كل طرف لتفهم حجج الآخر. رغم أن ذلك، كما أفهم، تحقق بثمان غير يسير. والاتفاق، بالتأكيد، عيد حقيقي لأهل الخليل الذين ظلوا عشرات السنين في انتظار هذا التغيير في مصيرهم.

وفي كل ما سوى ذلك، الاتفاق هو تحرك إلى الأمام وخطوة على الاتجاه الصحيح ولكنه ليس اختراقاً. وهذا التقييم يستند إلى عدد من المسوغات:

أولاً: أنا لا أنفك أفكر في التباين الهائل بين مشكلة الخليل، رغم كل أهميتها الحالية، والمهمات التي سيواجهها المتفاوضون في المرحلة التالية، وخاصة مشكلة المستوطنات ومصير القدس ومشكلة اللاجئين والوضع النهائي للأراضي الفلسطينية. وإذا استعرنا مصطلحات متسلقي الجبال لأمكن القول إنه ما زال يترتب بلوغ قمة أفرست التي لا تلوها ذروة أخرى في العالم. وأنا أؤمن حقاً بأنه في ضوء درجة تعقيد المشاكل، فإن حلها سيكون مكافئاً لبلوغ "سقف العالم". وأعود لأقول إن قمة أفرست ما زالت تلوح ولم يتسن إلا بلوغ بعض الروابي في سفوحها. هذا علماً بأن أعضاء الفريق كانوا عند الانطلاق لا يعرفون بعضهم كما ينبغي ويتحدثون أحياناً لغات مختلفة ولم يكن بينهم تعاون. إلى ذلك أعاققت الحركة رياح جانبية تتمثل في المتطرفين على اختلاف ألوانهم. بل كانت هناك عواصف قوية بدا في ظلها أن عملية التسلق سوف تتوقف.

ثانياً (وأعود إلى استخدام المصطلحات ذاتها)، كان هناك "أدلة" وفي موضوع الخليل عمل عدد غير قليل ممن يستحقون هذا اللقب عن جدارة. وأود الإشارة في صورة خاصة إلى إسهام الدبلوماسية المصرية التي كانت، كما العهد بها دوماً، على مستوى عالٍ، وبالجهد الشخصي للرئيس حسني مبارك. وفي المرحلة الختامية لعبت دوراً بالغ الأهمية جهود الملك حسين. وثمة إجماع على الاعتراف بدور الولايات المتحدة. وطوال تلك الفترة كان الراعي الروسي يقيم اتصالات كثيفة مع الأطراف المتفاوضة، وجرى تبادل مستمر للرسائل. وأذكر أن الوزير بريماكوف أثناء زيارته إلى الشرق الأوسط عرض على محدثيه صيغاً لحل، وخاصة في القضايا المتعلقة بضمان الأمن في إطار اتفاق الخليل.

وقد يعترض أحد قائلًا إن روسيا لم تكن في دائرة الضوء. وأنا أتفق مع ذلك وأقر بأننا لم نتعلم كما ينبغي الإعلان، وخاصة الإعلان عن النفس.

\* "الحياة" (لندن)، 1997/2/2.

ولكنني أعلم علم اليقين، ومن خلال تجربة عملية عمرها عشرات السنين في الشرق الأوسط، أن أي اتفاق كبير لا يتم بدون روسيا، وهذا ما لن يحصل في المستقبل أيضاً. وفي نيسان (أبريل) من العام الماضي جرت محاولة لاستبعاد روسيا حينما شكلت لجنة متابعة الوضع في جنوب لبنان. وثمة من أصر آنذاك (كان ذلك في عهد حكومة بيرس) وبدوافع سياسية أنية يصعب تفهمها على أن لا تكون روسيا عضواً في اللجنة. وهذا رغم أن وزير الخارجية بريماكوف الذي كان في المنطقة أجرى شخصياً اتصالات مع طائفة واسعة من الأطراف، لم يكن يقوى على القيام بمثلها أي من زملائه الأجانب، وذلك في محاولة للمساعدة على إخماد بؤرة التوتر في جنوب لبنان. ماذا جرى في المحصلة؟ اللجنة منذ الحين تتعثر، بساقيها الاثنتين كما يقول المثل الروسي. وأعتقد أن هذه حالة تنطوي على عظات كبيرة. فروسيا قادرة دائماً على أن تساعد، وإن التشبه بالنعامة والتغاضي عن الحقائق هما، على أقل تقدير، قصر نظر.

وعوداً على موضوع الخليل أشير إلى نقطة أثارت انتباهي، وأعني الضمانات والبيانات التحريرية التي صدرت عند توقيع الاتفاقية بالأحرف الأولى. ولقد كانت هذه البيانات دعماً إيجابياً في حينه. ولكن في قضايا كبرى مستقبلية ينبغي أن يكون هناك قدر أكبر من الوضوح والدقة القانونية، فالحديث يدور عن تسوية قضايا محورية للمستقبل الذي كان الرئيس ديغول وصفه بأنه "أمر طويل جداً". ولذا ينبغي أن "يضببط الوقت" وفق صيغة مدريد والأدوات القانونية الدولية التي نشأت خلال هذه الفترة.

ولا يمكن أيضاً تجاهل حقيقة مريرة وهي أن التقدم على المحور الإسرائيلي الفلسطيني جرى على خلفية جمود (ولكن صرحاء) على المحورين السوري واللبناني. وكان بريماكوف أكد أثناء جولته في الشرق الأوسط ضرورة التحرك المتوازي، قدر الإمكان، على جميع المسارات الرئيسية لكي لا يثير التقدم على واحد منها حساسية لدى المشاركين الآخرين في عملية التفاوض.

وكنت تحدثت عن المساهمة في عملية السلام في الشرق الأوسط هي مصدر "هيبة" ولذا فإن بلداناً وساسة كثيرين يسعون للحاق بقطار التفاوض الذي انطلق من مدريد. ولكن أعتقد أن من المفهوم أيضاً أن الأطراف العربية المعنية وإسرائيل أدري من غيرها بشعاب السياسة الشرق أوسطية، وهي تحديداً يمكن أن تجد طريقها في متاهة الدقائق التفاوضية. وهي بهذا المعنى تحتاج ليس إلى أدلة، قدر حاجتها بالدرجة الأولى إلى إرادة سياسية ورغبة حقيقية في دفع عملية التفاوض، وأهم من هذا وذلك تحتاج إلى رؤية واضحة لواقع أن مشاكل جديدة تطرح نفسها بإلحاح وتتطلب حلولاً. وفي هذه الحالة يغدو العون من الخارج مهماً ومقبولاً أكثر من السابق. وروسيا سوف تساهم في ذلك مستقبلاً أيضاً.

ومثل كثيرين آخرين كنت توقعت أن تجابه المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية بمقاومة من المتطرفين الغلاة على جانبي المتاريس. ورغم ذلك سأشير إلى قلق يساورني ومفاده أن هذه المقاومة كانت أكبر مما توقعت وأنها جاءت "ملموسة" أي ترجمت إلى أعمال فعلية بما في ذلك الاستفزازات التي تفجر الوضع بالمعنيين المجازي والمباشر. وثمة صدع عميق لدى الرأي العام في المعسكرين، وهذا ما ينبغي أن يحسب حسابه للمستقبل.

وأخيراً، فإن اتفاق الخليل هو الكيلومتر الأول من مسافة ماراتون طولها قرابة 42 كيلومتراً. ولكم أود ألا يكون العدؤون قد أنفقوا في قطع المسافة الأولية قوى أكثر من طاقتهم، وأتمنى ألا يحتاجوا إلى فترة طويلة لالتقاط الأنفاس. فعقارب ساعة التاريخ تدور.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)